سائغا للشاربين اي سهل المرور في الحلق وقيل لم يغص احد باللبن قط
تنبيه قال اهل التحقيق اعتبار حدوث اللبن كما يدل على وجود الصانع
المختار فكذلك يدل على امكان الحشر والنشر وذلك لان هذا العشب
الذي ياكله الحيوان انما يتولد من الماء والارض فخالق العالم دبر تدبيرا اخر فقلب
ذلك العشب دما ثم دبر تدبيرا اخر فقلب ذلك الدم لبنا ثم دبر تدبيرا اخر فحدث من ذلك
اللبن السمن والجبن فهذا الاستقراء يدل على انه تعالى قادر على ان يقلب هذه
الاجسام من صفة الي صفة ومن حالة الي حالة فاذا كان كذلك لم يمتنع ايضا
ان يكون قادرا على ان يقلب اجزاء ابدان الاموات الي صفة الحياة والعقل كما
كانت قبل ذلك فهذا الاعتبار يدل من هذا الوجه على ان البعث والقيامة امر
ممكن غير ممتنع وفي حدوث اللبن في الثدي واتصافه بالصفات التي باعتبارها
يكون موافقا لتغذية الطفل مشتملة على حكم عجيبة يشهد صريح العقل
بانها لا تحصل الا بتدبير الفاعل الحكيم المدبر وبيانه من وجوه الاول
انه تعالى خلق في اسفل المعدة منفذا يخرج ثقل الغذاء فاذا تناول الانسان غذاء
او شربا انطبق ذلك المنفذ انطباقا كليا لا يخرج منه شي من ذلك الماكول
والمشروب الي ان يكمل انهضامه في المعدة ويجذب ما صفي منه الى الكبد
ويبقى الثفل هناك فحينئذ ينفتح المنفذ وينزل منه ذلك الثفل وهذا
من العجائب الذي لا يمكن حصولها الا بتدبير الفاعل الحكيم لانه متى كانت
الحاجة الي خروج ذلك الجسم عن المعدة انفتح فحصول الانطباق تارة
والانفتاح تارة اخري بحسب الحاجة وبقدر المنفعة مما لا يتاتى الا بتقدير
الفاعل الحكيم الثاني عند تولد اللبن في الضرع يحدث الله تعالى في حلمته ثقبا
صغيرا ومساما ضيقة وجعلها بحيث اذا اتصل المص والحلب بتلك الحلمة
انفصل اللبن عنها ولما كانت تلك المسام ضيقة جدا كان لا يخرج منها الا
ما كان في غاية الصفا واللطافة واما الاجزاء الكثيفة فانه لا يمكنها الخروج
من تلك المنافذ الضيقة فيبقى في الداخل فالحكمة في احداث تلك الثقب الصغيرة
والمنافذ الضيقة ~~فيبقى~~ الداخل في راس حلمة الثدي انها تكون كالمصفاة
فكل ما كان لطيفا خرج وكلما كان كثيفا احتبس في الداخل ولم يخرج فبهذا
الطريق يصير اللبن خالصا موافقا لبدن الطفل سائغا للشاربين
الثالث انه تعالى الهم ذلك الطفل الي المص فان الام كلما القت حلمة الثدي في
فم الطفل فذلك الطفل ~~ياخذ في الحال~~ في ذلك الحال ياخذ في المص فلولا
ان الفاعل المختار الرحيم الهم ذلك الطفل الصغير ذلك العمل المخصوص والا لم
يحصل الانتفاع بتخليق ذلك اللبن في الثدي وقوله تعالى ومن ثمرات النخيل والاعناب
متعلق بمحذوف تقديره ونسقيكم من ثمرات النخيل والاعناب اي من عصيرهما
وحذف لدلالة نسقيكم عليه وقوله تعالى تتخذون منه سكرا بيان وكشف

عن كنه

عن كنه الاسقاء قال الواحدي الاعناب عطف على الثمرات لا على النخيل لانه يصير التقدير
ومن ثمرات الاعناب والعنب نفسه وليس له ثمرة اخري ورزقا حسنا كالتمر
والزبيب والدبس والخل تنبيه في تفسير السكر وجوه الاول هو الخمر سميت
بالمصدر سكر سكرا وسكرا نحو رشد رشدا ورشدا فان قيل الخمر محرمة فكيف
ذكرها الله في معرض الانعام اجيب عن ذلك بوجهين احدهما ان هذه السورة
مكية وتحريم الخمر نزل في سورة المائدة فكان نزول هذه الاية كانت في الوقت
الذي كانت الخمرة غير محرمة وممن قال بنسخها النخعي والشعبي الثاني ان الاية
جامعة بين العتاب والمنة فالعتاب بالنسبة الى السكر والمنة بالنسبة
الى رزقا حسنا الوجه الثاني ان السكر هو النبيذ وهو عصير العنب
والزبيب والتمر فاذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال
عند ابي حنيفة رحمه الله تعالى الى حد السكر ويحتج بهذه الاية وبقوله صلى
الله عليه وسلم الخمر حرام لعينها وهذا يقتضي ان يكون السكر شيا غير
الخمر وكل من اثبت هذه المغايرة قال انه النبيذ المطبوخ والوجه الثالث
ان السكر هو الطعام قاله ابو عبيدة واحتج عليه بقول الشاعر
جعلت اعراض الكرام سكرا اي تنقلت باعراضهم بان جعلها نقلا
وتناولتها والنقل ما يتنفل على الشراب قال البغوي والاقوي لاقاويل
ان قوله تعالى تتخذون منه سكرا منسوخ اه ويدل قول الحسن ذكر الله
نعمته عليهم في الخمر قبل ان يحرمها عليهم وروي عن ابن عباس قال السكر
ما حرم من ثمرها والرزق الحسن ما احل من ثمرها وروي عنه ايضا السكر
حرام منه والرزق زبيبه وعنبه ومنافعه ثم قال تعالى ان في ذلك
المذكور لاية اي دلالة على قدرته تعالى لقوم يعقلون اي يستعملون
عقولهم بالنظر والتامل في الايات فيعلمون ان هذه الاحوال لا يقدر
عليها الا الله تعالى فيحتج بوصولها الي وجود الاله القادر الحكيم ولما
بين تعالى ان اخراج الالبان واخراج السكر والرزق الحسن من ثمرات
النخيل والاعناب دليل قاطع وبرهان ساطع على ان لهذا العالم الها
قادرا مختارا حكيما ذكر ان اخراج العسل الذي جعله الله شفاء للناس
من دابة ضعيفة وهي النحل دليل قاطع وبرهان ساطع على اثبات هذا
المقصود بقوله تعالى واوحي ربك الي النحل وحي الهام قال
الضحاك الهمها ولم يرسل اليها رسولا والمراد من الالهام انه تعالى
قدر في انفسها هذه الاعمال العجيبة التي يعجز عنها العقلاء من
البشر وبيانه من وجوه الاول ما ذكر الله تعالى بقوله تعالى ان اتخذي
اي بان اتخذي ويجوز ان تكون مفسرة لان في الايحاء معنى القول
من الجبال بيوتا تاوين اليها وانما سمي بتسمية العسل فيه بيتا

٣ راوي ح

Copyright King Saud University